منطوق ذلك الزمن؛ لكنهم اكتشفوا، لاحقاً، انها هجرة وليست انتقالاً، وانهم لاجئون. مع ذلك، اقتضى وعيهم بخصوصيتهم الفلسطينية المرور بـ «مطهر» النفي واللجوء وخيبة الحلم العروبي. فعندما انطلقت حركة التحرير الوطني الفلسطينية المعاصرة، في أوائل الستينات، عبّرت عن فلسطينيتها «بحذر وخجل» خوفاً من ان تُتهم «بالقطرية»، من جهة، وخجلاً من ان تبدو حركتها انسحاباً من المشروع القومي العروبي؛ فكما صرّح عضو اللجنة المركزية لـ «فتح»، صلاح خلف (أبو اياد)، في كتابه «فلسطيني بلا هوية»، كان الهدف من اعلان الكفاح المسلّح رمي قفاز تحدي في وجه الصهيونية والعالم بأن الشعب الفلسطيني موجود، ودفع الحكومات العربية الى التحرك الى تنفيذ وعدها بتحرير فلسطين.

الّا ان تطوّر منطوق الصراع العربي ـ الاسرائيلي وسيرورته من «صراع» الى «نزاع» بعد حرب العام ١٩٦٧ (ازالة آثار العدوان)، ووضوح هذا الاتجاه بعد حرب العام ١٩٧٣ (فك الارتباط)، وهو ما عنى القبول الضمني بوجود اسرائيل، جعل القيادة السياسية الفلسطينية تعمل لتكريس خصوصية الهوية الوطنية الفلسطينية، وذلك للحفاظ على طبيعة الصراع حول جغرافيا فلسطين بين الحركة الصهيونية والشعب الفلسطيني. وهكذا صارعت القيادة الفلسطينية، بعد العام ١٩٧٣، على ثلاثة محاور: فلسطينية، وعربية، واسرائيلية. فالهدف، فلسطينياً، كان تجسيد وحدة شعب، جماهيراً واحزاباً؛ وعربياً انتزاع الحق في القرار الوطني المستقل، بكل ما يمثّله من أبعاد؛ واسرائيلياً متابعة الصراع على حق تقرير المصير على الارض الفلسطينية. ولم يكن أي من دروب تلك المحاور الثلاثة مكللاً بالورد، بل كان مزروعاً بالشوك وتمّ عبورها بالدم وعلى أجساد الشهداء.

وبانطلاقة الانتفاضة الفلسطينية من على الارض الفلسطينية، واستمرارها، انحسم الصراع في اطار المحورين، الفلسطيني والعربي، لصالح قيادة الشعب الفلسطيني، ليتمّ، بعد ذلك، البدء في توجيه الجهود نحو حسم الصراع على المحور الثالث مع العدو الصهيوني. وكما بادر الشعب الفلسطيني الى الثورة على الاحتلال الاسرائيلي، بادرت القيادة السياسية الفلسطينية الى وضع برنامج سياسي واقعي يهدف الى تحقيق الاستقلال الفلسطيني، وهو ما تمّت ترجمته في حصيلة اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني والقرارات التي اصدرها، واعلان القبول والاستعداد لاقامة دولة فلسطينية على جزء من فلسطين، وفق قرار الامم المتحدة الرقم ١٨١؛ وهو ما عنى الاعتراف بحق الشعبين، الاسرائيلي والفلسطيني، كل باقامة دولته المستقلة على أرض فلسطين.

فالطموحات القومية أشجار عالية يمكن تسلّقها عندما تتجه النوايا نحو الحرب؛ لكن السلام يقتضي، بالضرورة، النزول من عليها الى ارض الواقع.

رهان المستقبل

من المعروف ان الطموح القومي لأي شعب هو المنهل الذي تعود اليه القيادة السياسية للشعب، كي تستقي منه أدواتها التحريضية، لتؤطر، بواسطتها، حولها، جماهيرها، وبالتالي لتدفعها نحو متابعة صراعها لتحقيق طموحاتها القومية. وطالما بقيت الطموحات القومية قائمة طالما بقي عنصر الصراع متأججاً. وفي حالة كحالة الصراع العربي ـ الاسرائيلي، يفترض الطموح القومي لكلا الطرفين، على النحو الذي استعرضناه، الغاء الآخر، أي انه صراع على الوجود. واذا استمر على ما هو عليه، فهذا يعني ان منطقة الشرق الاوسط ستستمر منطقة متفجّرة، ولم يعد العالم يحتمل، وهو على أبواب القرن الواحد والعشرين، بقاء بؤر متفجرة في العالم قد تؤدي الى دمار كوني.